السبت ٢٠١٨/١/١٣ الموافق ٢٦ ربيع الثاني ١٤٣٩ هـ العدد ٧٩٥٠ السنة الثالثة والعشرون
Saturday 13/1/2018 Issue No. 7950 Volume 23
الأيام

بنيت، شكيد، وليبرمان يهدرون دماء المستوطنين

بقلم: كارولينا ليندسمان

«الثـأر الوحيد هـو البناء»، حـاول الوزير نفتالـي بينيت تهدئة الهتافـات الداعية للثأر، التـي انطلقت في جنـازة الحاخام رزئيل شـيفح، الذي قتل بالنار قرب بؤرة «حفات غلعاد» حيث يسكن. هذه محاولـة زائفة لعرض البناء كبديل إنسـاني لثأر الدم، وعرض الوزير ذاته يحاول تهدئة الخواطر وتبريد مشـاعر الحداد في لحظة ألمها، بمثابة مهاتما غاندي المستوطنين.

ظاهرا، بينيت وشـريكته فـي قيادة المسـتوطنين، وزيرة العدل آييلت شـكيد – التي سـارعت هي الاخرى للإعلان بان «ردنا سيكون تسـوية بلدة (حفات غلعاد)» ليسـا متحمسـين. فهمـا لا يصرخان «الموت للعرب»، لا يدعوان الى «الدخول فيهم». لا يبدو أنهما يؤيدان هذه المرة حملة عسـكرية. بشـكل عام، موقف بينيت من «الارهاب» هـو متقدم ظاهرا، إذ انه يعترف بالارهاب اليهودي، يعارض العنف المبادر اليه في الطرفين (باستثناء عنف الجيش الاسرائيلي بالطبع)، ولكن من المحظور علينا أن نقع في هذا الفخ.

ان محاولـة تصنيف «البناء» ككفاح غير عنيـف هو تلاعب كاذب. فبينيت لا يقترح على المستوطنين استخدام «قوة الحب» اليهودية؛ لا يدعوهم الى المقاومة السـلبية، لا يوجد اي شـيء سـلبي في ثأر بينيت: فالمقصود هو البناء داخل بيت الفلسـطينيين، اي السـطو على اراضيهم، اراضي دولتهم المستقبلية، في ظل تعميق التواجد العسكري، بينما لا يوجد للفلسطينيين اي قدرة للدفاع عن أنفسهم. وهم يقفون بلا وسيلة امام العدوان الإسرائيلي: الشرطة الفلسطينية ممنوعـة من وقف الاجتيـاح لأراضيهم، ليس مـن صلاحيتها وقف البناء غير القانوني، وبالطبع لا يوجد جيش فلسـطيني يبعد الغزاة. من ناحية إسـرائيل كل شكل من أشكال المقاومة الفلسطينية ليس شـرعيا. والبناء في «المناطق» مثل السـطو على بيت يقيد سـكانه بالكراسي، ويتم برعاية الشرطة.

كمـا أن الوزيـر افيغدور ليبرمـان أمر بالنظر فـي تحويل «حفات جلعاد» الـى «بلدة عادية في يهودا والسـامرة». ووزير الزراعة اوري ارئيل شـرح يقول: «نحن نريد ثأر الرب تبارك اسمه: نقسم بان نبني بلاد اسرائيل. هذه نغمة إلهية نحن فيها الرسل».

اليمين الإسرائيلي يستخدم مقتل الحاخام شيفح شماعةً للانتقام.

ليس فقـط المحظور ان نرى في البناء كفاحـا غير عنيف، بل نحن ملزمـون بان نفهم ما ينطـوي عليه الفكر الذي يرى فـي البناء «ردا صهيونيا مناسبا»، وبالمستوطنين رُسلا. اذا كان البناء في «المناطق» هو ثأر، بمعنى رد تنفذه اسرائيل بوساطة المستوطنين، فانه حسب من يحمل هذا الفكر، فان المسـتوطنين مثلهـم كمثل الجنود؛ أي: المس بالمسـتوطنين هو كالمس بالجنود. ومـع ان هذا عمل مقاوم عنيف، الا انه لا يمكن حسـب هذا المنطق تصنيفه عملا ارهابيا، لأن الارهاب موجه ضد المدنيين.

المسـتوطنون، مثل الكثير من الاسـرائيليين ايضا، يحتجون على ان العمليـات ضد المسـتوطنين ينظـر اليها بشـكل مختلف عن العمليات ضـد المدنيين داخل الخط الاخضـر، ولكن يوجد في ذلك ازدواجية اخلاقية كبيرة. فمن جهة تهدد اسـرائيل الفلسطينيين بسلاح الاسـتيطان، ومن جهة اخرى تكفر بشرعية عمليات الرد على المستوطنين.

ان من يحدد المسـتوطنين كرُسـل اسـلحة التوسـع الامبريالي، يشوشـون التمييز بين الجنود والمسـتوطنين ويضعـون الحاخام شـيفح في ميدان المعركـة العسـكرية، وليس المدنيـة. وهكذا يصبح قتله كقتل مقاتـل في ميدان المعركة. من يصفون البناء في «المناطـق» كاعمال رد علـى الهجمات الفلسـطينية، ومن يرون في تسـوية البؤر غير القانونية سـلاحا في الحرب فـي مواجهة العنف الفلسطيني، يبيحون دماء المستوطنين، ويعرضونهم للخطر كهدف لعمليات الرد الفلسطينية.

عن «هآرتس»

حكم «حماس» في غزة.. حل للمشكلة أم مصدر لها؟

بقلم: إيال زيسر

المطر الغزيـر الذي هطل في نهاية الأسـبوع الماضي أوقف لبضعة أيام الإطلاق المتقطع للصواريخ من غزة. ويبدو أن مطلقي الصواريـخ في القطـاع يخافون من طوفان المطـر أكثر من الرد الإسرائيلي على تساقط الصواريخ.

في «يهودا» و«السامرة» سُجّل ايضاً تراجع في حجم التظاهرات التـي اندلعـت، والتي ربمـا نظمتها السـلطة الفلسـطينية، احتجاجـاً على اعتـراف ترامب بالقدس عاصمة لإسـرائيل. من المبكر التقديـر ما إذا كان ما جرى هو الخـوف من المطر، أم أن الشـارع الفلسطيني غير مهتم ولا يرغب في الاستجابة لدعوات السلطة الفلسطينية إلى مواصلة المواجهات ضد جنود الجيش الإسرائيلي.

لكن بضعـة أيام من «الهـدوء الخادع»، بحسـب كلام رئيس «الشـاباك» أمام لجنة الخارجية والأمن، لا تغيّر من واقع أن حقبة الهدوء فـي «المناطق» وعلـى طول حدود القطاع توشـك على الانتهاء، وربما انتهت.

التصعيد علـى الأرض، ولو ببطء وبصـورة تدريجية، له علاقة بالواقـع السياسـي الداخلي الفلسـطيني، ولمزيد مـن الدقة، بالحائط المسدود الذي وصلت إليه سواء حركة حماس في القطاع أو السـلطة الفلسـطينية في «المناطق». في الأشـهر الأخيرة انشغلوا بصورة أساسـية بالمناورات السياسية الداخلية، مثل تغيّر الزعامة فـي «حماس» أو المحاولات العقيمـة للدفع قُدُماً بالوحدة بين غزة ورام الله.

لكـن يبدو تحديداً أن الإمكانات التـي انفتحت أمام «حماس» وأمام السلطة الفلسطينية للمضي قُدُماً هي التي أدت إلى دوامة نهايتها انفجار العنف، وإلى الخوف من اندلاع المواجهات. في واشـنطن يعمل طاقم الرئيس ترامب على بلورة مبادرة أميركية لحل النزاع. ولو تعلم الفلسـطينيون مـن تجربة الماضي، لكانوا رأوا فـي مبادرة ترامب، مهما كانت إشـكالية بالنسـبة إليهم، فرصة ذهبية للتقدم نحو تحقيق جـزء من أهدافهم. لكن بدلاً من اسـتقبال المبادرة الأميركية بأذرع مفتوحة «أعلنوا الحرب» على ترامب وعلى الولايات المتحدة، كأنهم يمكن أن يجدوا طرفاً يقبل بتوظيف أموال وجهود من أجلهم أكثر من واشنطن. وهذا ما حدث تحديداً في صيـف ٢٠٠٠. إن امكان التحرك نحو عملية سياسية يعرفون أنها تتطلب تقديم بدائل وتنازلات تدفعهم نحـو موقف رافـض، وإلى «الهـرب إلى الأمـام»، وإلى تصعيد مضبوط، قد يخرج عن السيطرة كما حدث في الماضي.

تتخوف «حمـاس» أيضاً من الآتـي. إن اتفـاق المصالحة مع السـلطة من شـأنه أن يخفـف الضغـط الذي يعاني الشـارع الفلسـطيني جرّاءه ويدفع قُدُماً إلى حل المشكلات الاقتصادية في القطاع. لكن مثل هذا الاتفاق قد يسـحب البساط من تحت سلطة «حماس» الوحيدة. ويتخوفون في «حماس» من أن يُضعف الهدوء على الحدود مع إسـرائيل الحركة في مواجهة خصومها الداخليين. وهكذا، وعلى الرغم من الأصوات في غزة التي تؤيد المضي قُدُماً في اتجاه مصالحة فلسـطينية داخلية، واستمرار المحافظـة على الهدوء على طول الحدود، فإن «حماس» تراجعت عمليـاً. وهي تطلب من فروعها في «يهودا» و«السـامرة» القيام بهجمات ضد إسرائيل، والأخطر من ذلك، لا تقف أمام الفصائل، وبينهـا حركة الجهاد الإسـلامي، التي تطلـق صواريخها على إسرائيل تحت أعينها النصف مغلقة.

إن الرأي السـائد في إسـرائيل هـو أن المصلحة الإسـرائيلية تقتضي السـماح لـ«حماس» بمواصلة سيطرتها على القطاع، وبأن تبقـى مصدر القوة الوحيد القادر على المحافظة على الهدوء على طول الحدود. على ما يبدو ثمة منطق في فرضية العمل هذه، لكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن مثل هذه الفرضيات انهارت أكثر من مرة فـي الماضي، مثلاً في لبنان، عندما فضّلت إسـرائيل الهدوء على اسـتمرار الاحتكاكات على طول الحدود وكان ثمن الهدوء أن تهديد المواقع والمسـتوطنات في شمال البلد زاد وتطور ليتحول إلى تهديد استراتيجي لكل «أراضي إسرائيل.»

في مواجهة الحائط المسـدود الذي وصل إليه الفلسطينيون، وأيضاً فـي مواجهة الإمكانـات التي انفتحـت أمامهم، والتي اختاروا رفضها رفضاً قاطعاً، فإن خيـار التصعيد المضبوط هو الحل الأسـهل الذي اختاروه. في مثل هـذا الوضع، من الصعب الاسـتمرار في المحافظـة على الوضـع القائم (السـتاتيكو). وسـتضطر إسرائيل إلى التفكير بصورة مختلفة للمحافظة على الهدوء داخل أراضيها وعلى طول الحدود، وأن تسـأل نفسـها بصورة خاصة هل حُكم «حماس» في غزة (وهناك من يقول أيضاً حُكم السلطة الفلسطينية في «يهودا» و«السامرة») هو الحل أم مصدر المشكلة؟

عن «إسرائيل اليوم»

لماذا لا تشكّل التنظيمات السلفية في غزة تهديداً لحكم «حماس»؟

بقلم: تسفي برئيل

نشـر فرع "داعش" في سـيناء (ولاية سـيناء) فيلم فيديو قصيرا يثير القشعريرة، الاربعاء الماضي، يظهر تنفيذ عملية اعدام قصيرة وباردة لأحد نشـطاء "حماس"، موسـى أبو الزمط. في الفيلم القصير يظهر عدد من نشـطاء "داعش"، من بينهم القاضي كاظم المقدسي، الذي حكم بأن الزمط متهم بنقل السـلاح "لتنظيم الكفار" "حماس". منفـذ الاعدام هو محمـد الدجني، ابن أحد كبار قـادة "حماس"، أنور الدجني، المسـؤول عن عـلاج الجرحى في غزة والمقـرب من القيادة العليا في المنظمة.

لم ترد "حماس" على الحادثة، لكن عائلة الدجني نشرت بيانا اعلنت فيه أنها "تتبرأ من الأعمال المخالفة للشـريعة الاسلامية ومن باقي الاعمال التي لا تتوافق مع ديننا المتسـامح ومع قيم شعبنا". يمكن الآن توقـع عملية رد من قبل "حماس" وعمليـة تأتي في اعقابها من قبل التنظيمات السـلفية. مرت التنظيمات الراديكالية في غزة في طريق طويل منذ سيطرت "حماس" على القطاع في ٢٠٠٧ وحتى حرب تصفية الحسابات التي تديرها التنظيمات فيما بينها.

المفهـوم الاسـرائيلي المعتـاد "تنظيمات مارقـة"، الذي يعرف هذه التنظيمات والتي سـميت ذات مرة "داعش سيناء" و"تنظيمات سلفية"، موجه في الاساس الى اربعة اجسام كبيرة لا تنتمي جميعها لـ"داعـش". هـذا مفهوم مخادع لأنـه يبرهن أن اسـرائيل ترى في "حماس" حكما ممثلا، سـواء من ناحية مسؤوليتها عن الامن في غزة والحفاظ على اتفاقات وقف اطلاق النار، أو كجسـم مسؤول عن الادارة اليومية للشؤون المدنية. هكذا، فان كل من لا يخضع لـ"حماس" فانه ليـس فقط "مارقا" ومتمردا على السـلطة الحاكمة في غزة، بل ايضا يعطي لـ"حماس" مكانة مفضلة وتقريبا شرعية.

هذه التنظيمات الراديكالية ليست متشابهة، وحتى قبل أن يعلن بعضها الـولاء لزعيم "داعش"، أبـو بكر البغدادي، فـي العام ٢٠١٤، سـاد فيما بينها توتر أدى الى مواجهة عنيفـة. بداية طريقها في غزة في السـبعينيات يمكن أن نعزوه الى عودة طلاب فلسـطينيين من السـعودية، حيث تلقوا فيها تعليمـا وتوجيها دينيا من فقهاء شريعة متطرفين شجعوهم على الانضمام الى التيار السلفي.

ينقسم التيار السـلفي الى ثلاثة اقسام فرعية. الاول ينشغل في الاسـاس في البحث والتعليم بهدف أن يفهم ويكتشـف "الايمان الحقيقـي" والعيش كمـا كانت الحـال في فترة الآباء المؤسسـين للإسـلام. هذا التيار يبتعد عن العمل السياسـي أو العسكري، حتى أنـه يدين فقهاء الشـريعة الذين يعملون في هذه السـاحات. من هنا ايضا يأتي العداء الديني الشـديد بين التيار السلفي التطهري وبين حركات إسـلامية سياسية مثل "الاخوان المسلمين" واحفادهم السياسيين مثل "حماس" في قطاع غزة أو حركة النهضة في تونس. التيار الثاني مسـتعد لتبني العمل السياسي الى جانب التفقه في الدين من خلال الوعي بقوة المشـاركة السياسية لتحقيق فكرة دولة الشـريعة. نشـطاء هذا التيار يقيمون أحزابا مثل الاحزاب السلفية فـي مصر التي تحظى بتعـاون مع النظام المصـري كجزء من نضال السلطة ضد "الاخوان المسلمين". التيار الثالث هو التيار الذي يسمى "السـلفية الجهادية"، وهـو يرفض التعاون السياسـي مع الانظمة القائمة فـي الدول العربية، وهدفه اسـقاطها. وخلافـا لتنظيمات الدعوة يرى امامه حلم الثورة الاسـلامية التي تحدث من الاعلى بعد تصفية "الانظمة الكافرة".

ولكـن ايضا التيار السـلفي الجهـادي يجد صعوبة فـي الحفاظ على وحـدة تنظيمية وايديولوجية. جزء منـه انضم لـ"داعش" وجزء لـ"القاعـدة" وآخرون يعملون بصورة مسـتقلة. هـذه هي تنظيمات صغيرة، ورغم الضجة الكبيرة التي تفعلها احيانا إلا أنها لا تنجح في ايجاد مكانة مهمة لها في اوسـاط السكان الفلسطينيين في قطاع غزة. حتى قبل سـيطرة "حماس" على غزة شنت التنظيمات السلفية نقـدا لاذعا لـ"حماس" على مشـاركتها في الانتخابـات، العام ٢٠٠٦، وحاولـوا الإثبات للجمهور بأن "حماس" تنظيـم لا يختلف عن "فتح"، سواء من الناحية السياسية أو الدينية. خطاب كهذا وضعهم بصورة طبيعية على مسـار التصـادم مع "حماس"، التـي ضعضعت قاعدة نشـاطهم الجماهيرية من خلال هجمات على مسـاجدهم في ٢٠٠٧ و٢٠٠٩.

الفشـل الأهم لهـذه التنظيمات يكمن في الانقسـام فيما بينها وعـدم قدرتها على الاتفـاق وحتى علـى قيادة دينية مشـتركة، رغم حقيقـة أن الفوارق الدينية بينها صغيرة. يبدو أن سـبب ذلك يكمن في شـخصية زعماء هذه التنظيمات، وفي الخلفية المختلفة لهم وفي طموحاتهم الشـخصية. ونتيجة ذلك، رغم السـعي خلف مجنديـن جدد، لا يوجد أي تنظيم جهادي فوق قومي، مثل "القاعدة" أو "داعش"، لم يعترف بشـكل علني بأي تنظيم من هذه التنظيمات السـلفية العاملة في غـزة. ايضا عندما تصادمت هـذه التنظيمات مع "حمـاس" امتنعت قيادة "القاعدة" عـن مهاجمة "حماس" أو منح رعايتها لهذه التنظيمات السلفية.

"القاعدة" و"داعش" يتنافسان على كسب ود التنظيمات في سيناء، على خلفيـة هزيمة "داعش" في العراق وسـورية، وازاء الخلاف بين التنظيمات السـلفية التي عاد جزء منهـا الى حضن "القاعدة"، وجزء منها ما زال مترددا. التنظيمات في غزة في المقابل ليسـت شريكة في هذه المنافسة رغم أن "داعش" في سيناء يحاول طرح نفسه ايضا كـراع للتنظيمات السـلفية في غزة. في آب الماضـي وبعد العملية الانتحارية التي نفذها احد نشطاء هذه التنظيمات في الجزء الشرقي من معبر رفح وقتل أحد نشطاء "حماس"، شنت "حماس" حربا شديدة ضد نشطاء هذا التنظيم، وتلقت "حماس" في المقابل تحذيرا شديدا من المتحدث بلسـان "داعش" في سـيناء، وقد جاء في التحذير "أن (حماس) ستدفع ثمنا باهظا بسـبب تدميرها مساجد السلفيين في غزة".

فـي ايلول، بعد التوقيع على اتفاق المصالحة بين "فتح" و"حماس" بوساطة مصرية، نشر "داعش" في سيناء تهديدا آخر جاء فيه أن كل الاتفاقات بين "حمـاس" والمخابرات الكافرة في مصر، والتي تهدف الى فـرض حصار على جنود الخلافة (الاسـلامية) المباركة لن تفيد. فـي المقابل، امتنعت التنظيمات السـلفية في غزة عن التصادم مع "حماس".

"حماس"، التي تحاول التصرف كنظام سياسـي مسؤول، تصادمت مع التنظيمات السلفية ايضا عندما بدأت هذه التنظيمات العمل ضد اهـداف "كفرية" في غزة وقامت باحراق محلات للفيديو ومقاهٍ، وذلك خوفا من أن تقوم هذه التنظيمات بالمس بشرعية "حماس" كتنظيم قومـي وليس فقط كتنظيـم ديني. "حماس" لا تتأثر بشـكل خاص بالمصطلحات الدينية للسـلفيين التي هدفت للمس بمصداقيتها الدينية. المتحدثون بلسان "حماس" اعتادوا على الاستهزاء بالعباءة الدينية التي تلتف بها التنظيمات السلفية، ولا سيما بسبب أن عددا من رؤسـاء هذه التنظيمات بدؤوا طريقهـم علمانيين تماما، وايضا بعـد توبتهم فانهم بعيـدون عن أن يكونوا معلميـن أو فقهاء في الشريعة.

مثـال معبر بشـكل خاص هـو ممتاز دغمـش الذي بـدأ طريقه "العسـكري" كرجل اسـتخبارات في الأمـن الفلسـطيني في فترة حكم ياسـر عرفـات، وبعد ذلك انضم لـ"حمـاس" وانتقل الى اللجان الشعبية التي انشـئت في الانتفاضة الثانية وكان مسؤولا عن قتل موسـى عرفات، ابن عم ياسـر عرفات. بعد ذلك أنشأ دغمش منظمة "جيش الاسلام" الكبيرة والمسلحة من بين التنظيمات السلفية، الامر الذي لم يمنعه من المشـاركة في اختطاف جلعاد شاليت وتسليمه لـ"حماس"، ايضا تسـليم "حماس" عشـرة من ابناء عائلته ممن عملوا في اطار الاجهزة الأمنية الفلسطينية. في ايلول ٢٠١٥ أعلن انضمامه لـ"داعش"، لكن أساس قوته يكمن في حمولة دغمش الكبيرة. الصلة بينـه وبين الدين الاسـلامي هي مثل العلاقة بين اسـماعيل هنية والحركة الصهيونية.

لا تشكل التنظيمات السلفية تهديدا حقيقيا لقوة "حماس"، ولكن يمكنها أن تقلق وتهدد، بالتحديد عندما تطلق النار على اهداف في اسـرائيل ومصر. تتصرف اسرائيل بناء على ذلك بحكمة عندما تميز بين هجمات التنظيمات السـلفية وبين هجمات "الجهاد الاسلامي". مطالبة "حماس" بالسـيطرة على هذه التنظيمات وتحمل المسؤولية عنها لاحباط نشاطاتها هي جزء من الاعتراف غير الرسمي بمكانتها. ولكن هذه العقلانية لا توجه دائما وزير الدفاع أو وزراء اليمين الذين يضمون كل هـذه التنظيمات، بما فيها "حمـاس"، في رزمة واحدة، الامر الذي يجعل الطريق الذي يقود الى هجوم شامل على غزة قصيراً.

عن "هآرتس"

إسرائيل على أعتاب حرب جديدة

بقلم: عاموس هرئيل

طُرحـت تقديـرات الاسـتخبارات فـي الجيـش الاسـرائيلي للعام ٢٠١٨، الاسبوع الماضي، على وزير الدفـاع افيغـدور ليبرمـان ورئيـس الاركان، غادي آيزنكوت. الجمـل الافتتاحية لهذا التقدير تشـبه جـدا تقدير العـام ٢٠١٧. احتمـالات أن تقوم دولة مجاورة أو أحد التنظيمات «الارهابية» النشيطة فيها بالمبادرة في العام القادم الى شن حرب مع اسرائيل هـي احتمـالات ضئيلة تصـل الى الصفـر تقريبا. لم يبـق الكثير من الجيـوش العربية، أمـا الانظمة المجاورة فتنشغل بنفسها، فيما ينشغل «حزب الله» و«حماس» بصورة مستمرة بالمشكلات الداخلية.

أين يكمن الفرق؟ رئيس الاركان في بداية سـنته الرابعة والاخيرة في منصبـه وصف الوضع كالتالي: ازداد جـدا خطـر التدهور، حتى الـى درجة الوصول الى حرب. جهاز الاسـتخبارات ورئيس الاركان قلقون جدا من سـيناريوهين محتملين. أولا، نتيجة رد أحد الاعداء على اسـتخدام القوة الاسـرائيلية. والثاني، بسبب اشتعال الساحة الفلسـطينية. هناك، عندما يخـرج المارد من القمقم يحتاج الامر شـهورا كثيرة واحيانا سنوات لاعادته إليه.

في السـيناريو الاول يتناول آيزنكوت ما يسـميه الجيش «الحرب بين الحروب»، وهو الجهد الاسرائيلي لإحباط تسـلح الاعداء بالسـلاح المتطور بهدف نزع القـدرة التنفيذية التي يمكنهـا أن تخدمهم عند انـدلاع الحـرب القادمـة. معظم هذا النشـاط يتم بعيدا عن حدود اسـرائيل وتحت الرادار. بشكل عام تحظى بالقليل مـن التغطية الاعلاميـة، وفي الجزء الاكبر من الحالات لا تعلن اسـرائيل عن مسؤوليتها عن الهجمات. رئيس سـلاح الجو السابق، أمير ايشل، قال فـي آب الماضي في مقابلة مع «هآرتس» إنه في السـنوات الخمس في منصبه كان هناك ١٠٠ هجوم تقريبا مثل هـذه الهجمات في الجبهة الشـمالية، وفي ساحات اخرى ايضا.

كلمـا زادت هجمـات اسـرائيل (حسـب مصـادر أجنبيـة) وهي تقوم بذلك بوسـائل متطـورة أكثر، يزداد الاحتكاك المحتمل مع دول وتنظيمات، ويزداد الخطر الذي في نهاية المطاف يمكن أن يسـتدعي ردا مهما. شيء مشابه جدا يحدث على حدود القطاع. بنـاء العائق ضد الانفاق الهجومية هناك، في الوقت الذي تطور فيه اسـرائيل وتنفـذ طرقا محكمة اكثر لاكتشـافها. يبدو أن ثلاثة انفاق تم الكشـف عنها وتدميرهـا قرب الجـدار في الأشـهر الأخيرة، ولكن هذا النجـاح يحتمل أن يكون له ثمن ايضا، اذا قررت «حماس» أو «الجهاد الاسـلامي» اسـتخدام السـلاح الهجومي للانفاق قبل أن يتم سـحبه منهما بصورة مطلقة.

على الاغلـب يكون مطلوبـا انتقاد الاسـتخبارات للخطـأ في التوقعات، لكن في الاسـبوعين الاخيرين وجدنا امثلـة على كل هذه التوجهـات في جبهات مختلفـة. يوم الاحد الماضي، اجتمـع «الكابنت» في جلسـة مطولة لبحث الوضع في الجبهة الشـمالية. وفـي فجر الثلاثاء الماضي، نشـرت وسـائل الاعلام العربية أنباء عن هجوم اسـرائيلي ضد مخازن اسلحة للجيش السـوري في دمشق. في المنطقة ذاتها كان قصـف جوي في بداية كانـون الاول الماضي لقاعدة اقامتها ايران لصالح مليشـيا شيعية. في عدد كبير مـن الهجمات الاخيرة جاءت أنباء عن اطلاق مضادات للطائـرات سـورية فـي محاولـة لضـرب الطائرات الاسـرائيلية. مؤخرا يقول السـوريون إن الهجمات أصبحت أكثر احكاما.

قبـل بضعة ايام مـن ذلك جاءت أنبـاء عن هجوم جوي اسـرائيلي، كما يبـدو لنفق قـرب الحدود في قطـاع غزة. أما فـي الضفة الغربيـة فهناك يبدو أن تظاهرات الاحتجـاج على تصريح ترامب في طريقها الى التلاشي بسـبب عدم اهتمام الجمهور، ولكن تمّ قتل الحاخام رزئيل شيفح من بؤرة «حفات غلعاد» في عملية لاطـلاق النار في غرب نابلـس. وردا على ذلك قام الجيش الاسرائيلي بنشر قواته وحاصر عدة قرى ووضع للمرة الاولى منذ سـنتين حواجز حول نابلس – خطـوات عقابيـة جماعية يفضل رئيـس الاركان الامتناع عنها في الايام العادية، لكنه صادق عليها، الآن، بشكل محدود بسبب قتل المواطن الاسرائيلي.

رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، أعطى اشـارات بأن «الشـاباك» يقترب مـن حل لغز عمليـة القتل. ولكن لم يتم بعد الاعلان عن منفذ العملية. «حماس» و«الجهاد الاسلامي» نشـرتا اعلانات تأييد للعملية، وبصورة اسـتثنائية نشـر ايضا اعلان باسم كتائب شـهداء الاقصى، الذراع العسكرية لـ«فتح»، التي لم تنشـط في الضفة الغربية في العقد الاخير، تتحمل فيـه المسـؤولية. الاعلان الذي نشـر فـي صفحات الفيسـبوك ينسـب العملية لخلية باسـم الشهيد رائد الكرمي، بمناسـبة ذكرى استشـهاده. الكرمي هو رئيـس الذراع العسـكرية في طولكـرم، والذي كان مسـؤولا عن قتل مواطنين وجنـود كثيرين في الانتفاضـة الثانية. وقد تمت تصفيته في ١٤ كانون الثاني ٢٠٠٢.

يأس داخل «فتح»

قـدّم تصريـح ترامب لرئيـس السـلطة امكانية التملـص المؤقـت، لكنه مـا زال فـي ضائقة. ففي تشـرين الثاني الماضـي وصلت معلومـات مقلقة للفلسطينيين بأن مبادرة السلام التي تطبخها ادارة ترامب تميل بصورة كبيرة لصالح اسـرائيل. صفقة القرن التي يتفاخر بها الرئيس الأميركي ستتضمن اقتراح بابقاء المسـتوطنات علـى حالها والاعلان عن أبوديس عاصمـة للدولة العتيدة. بالنسـبة لعباس هذه تنازلات غير مقبولة.

تصريـح الرئيـس الأميركـي مكنـه مـن اتهام الأميركييـن بأنهم توقفـوا عن أن يكونوا وسـطاء نزيهيـن، وأن يجـد له ملجـأ لدى المشـاركين في المؤتمـر الاسـلامي فـي تركيا وأن يتهـرب من أي نقاش حول استئناف المفاوضات. ولكن تأجيل اجراء المحادثات الـى موعد غير معروف لم يوقف سـيل المشـاكل التي يواجهها الزعيم الفلسطيني. وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للامم المتحدة وقعت فـي ازمة اقتصاديـة خطيرة حتى قبـل تهديدات الادارة الأميركية بتجميد نصيبها فيها. هذه الازمة، بالمناسـبة، تقلق الاردن ايضا الذي يعيش فيه على الاقل ثلاثة ملايين لاجئ فلسـطيني واحفادهم. إن تدفق الاموال من الـدول المانحة الى «المناطق» آخذ فـي النقصان، فـي الوقت الذي توقفـت فيه فعليا المصالحة بين السلطة الفلسطينية و«حماس».

في الوقت ذاته، يزداد اليأس داخل «فتح» – بدءاً من صفوف النشطاء الميدانيين وحتى القيادة القديمة – من احتمال تطبيق حل الدولتين. اسـرائيل تحتج على تصريحات شـخصيات رفيعة في «فتح» لصالح الكفاح المسلح. مؤخرا، قامت اسرائيل باعتقال جنرال فلسـطيني متقاعد بزعم أنه نظم تظاهرات احتجاج في شرقي القدس. في الاسبوع القادم يتم التخطيط لعقـد اجتمـاع للمجلس المركزي، يتوقـع أن يظهر المشاركون فيه خطا قتاليا.

في قطاع غزة، تبذل في هـذه الاثناء جهود كبيرة يشـارك فيهـا الكثيرون مـن اجل احتـواء العنف والامتنـاع عن تدهـوره الى مواجهة عسـكرية. في ظل إطـلاق الصواريخ من قبل التنظيمات السـلفية، اعلنت اسـرائيل والسلطة الفلسـطينية عن تحويل اموال اضافية من السـلطة لتمويـل تزويد الكهرباء من اسـرائيل الى القطاع. منذ بداية الاسبوع لم يكن أي اطـلاق للصواريخ، لكن الوضع بقي هشـا. الجيش الاسـرائيلي زاد أجهزة الحماية حول المسـتوطنات قرب الحـدود، ويزيد اجراء المنـاورات التي يتم من خلالها فحـص التعامل مع تسـلل «مخربين» للقيام بعمليـات اختطاف وقتل داخل اسـرائيل عن طريق نفق. رئيـس الاركان شـاهد مناورة لارسـال وحدة خاصة للتعامل مع سيناريو كهذا، هذا الاسبوع.

فـي خلفية هـذه الاحـداث بقي حسـاب مفتوح لـ«الجهاد» على قتل نشـطائه ونشطاء «حماس» في تفجير النفق على الحدود في تشرين الاول الماضي. في نهاية تشـرين الثانـي اطلق نشـطاء «الجهاد الاسـلامي» اكثر من عشـرين قذيفة بقطر ١٢٠ ملم خلال اربـع دقائق تقريبا على موقـع مراقبة للجيش الاسـرائيلي قرب سـدروت (الجنود كانوا موجودين في موقع محصن ولم يصب أحد). بعد شـهر تقريبا تـم اطلاق قذائف، كما يبدو أطلقهـا «الجهاد»، على كيبوتس «كفار عزة» اثنـاء الاحتفال بذكرى الرقيب اورن شـاؤول. افتراض الجيش هو أنه ستكون هناك محاولات اخرى.

عـدد الطائرات بدون طيـار الكبير التـي يطلقها مؤخرا الفلسـطينيون في السـماء قـرب الحدود من شـأنه أن يشير الى جمع معلومات تمهيدا لعمليات. في اسـرائيل يقظـون ايضا للتقاريـر الاخيرة التي تأتي من سورية حول هجمات من طائرات بدون طيار غامضة، تم استخدامها ضد قاعدة جوية روسية في شـمال الدولة. هذه تكنولوجيـا توجد الآن ايضا في متناول يد التنظيمات في قطاع غزة.

سورية على سبيل المثال

الحرب الاهلية السـورية، التي سـتدخل في آذار، السـنة الثامنة لم تنته تماما. نظام الاسد، الذي أعاد سيطرته على معظم التجمعات السكانية في الدولة، ما زال يتصـادم مع المتمردين فـي جيب ادلب في شمال سـورية، ويستعد لهجوم مسـتقبلي لاقصاء المتمردين عن «المناطق» الحدودية مع اسرائيل في هضبة الجولان. إن الهجومين على القاعدة الروسـية فـي «حميميم» (سـبق الطائرات بـدون طيار قصف راجمـات، اصيب فيها عدد مـن الطائرات والطائرات المروحيـة) يبرهنان علـى أن جزءا مـن التنظيمات مصمم على مواصلة القتال ضد الاسد وحلفائه.

الحـرب في سـورية بدأت بالاحتجاج فـي درعا في جنوب الدولة، على الصعوبات الاقتصادية للفلاحين التي تمس بمصادر رزقهم. وسـائل القمع الوحشية لنظام الاسـد أدت الى انتشـار الاحتجـاج في ارجاء سورية، وسـرعان ما تدهورت الامور لتصل الى حرب اهليـة تنبش فيهـا حتـى الآن دول اجنبية كثيرة. احيانـا توجد لحالة الحرب المسـتمرة تداعيات على عالم الطبيعة ايضا. في الاشهر الاخيرة حدثت زيادة في عدد حالات داء الكلب في اسـرائيل، في الاساس في شـمال البلاد. احد التفسـيرات المحتملة يرتبط بانتقـال الثعالـب المصابـة من الاراضـي الاردنية والسـورية. سـورية شـهدت فـي هذه السـنوات انهيارا كاملا للسلطات المدنية، وبالتأكيد الخدمات البيطريـة. في الوقت الـذي لا يوجد فيـه تحصين منهجي فان الدولة المجاورة ستتضرر.

الدولة الشـرق اوسـطية الثانية التي تشهد حربا اهلية خطيرة، وبصعوبة تحظى بعشر الاهتمام الذي تحظـى به الحرب السـورية، هي اليمـن. الحرب في اليمن تجري منذ ثلاث سـنوات تقريبا. حوالي ثلاثة ملايين من بين ٢٨ مليونا من السـكان غادروا الدولة وتحولـوا الى لاجئين. اكثر من نصف الباقين يعانون من مشـكلات في التزود المنتظم بالمواد الغذائية. ومؤخرا قـدرت الامم المتحدة أنه علـى الاقل هناك مليـون مواطن اصيبـوا بمرض الكوليـرا، وهو مرض ينتقل بسبب المياه الملوثة أو الغذاء الملوث.

هـذه امور يمكـن أن تحدث بسـهولة ايضا قريبا من البيت. في نهاية الشـهر الحالي من المتوقع أن يجري الاتحاد الاوروبي نقاشا طارئا في بروكسل حول الازمة الانسانية الشـديدة في قطاع غزة. في جهاز الامن الاسرائيلي يصادقون على التقارير المتواصلة للمؤسسـات الدولية بشـأن اسـتمرار انهيار البنى التحتيـة المدنية فـي القطاع، وعلى رأسـها المياه والصرف الصحي. مياه المجاري من غزة التي تتدفق مباشـرة الى البحر تصل ايضا الى شـواطئ عسقلان واسدود. وقد سـألت، مؤخرا، مصدرا إسرائيليا رفيع المستوى: ألا تخشـى من انتشار أوبئة مثل الكوليرا ايضـا فـي القطـاع، فأجاب: «فـي كل صبـاح اكون متفاجئا من جديد أن هذا لم يحدث».

عن «هآرتس»